



الهوية وصورة الوطن في الشعر الجزائري المعاصر

Identity and the image of the homeland in contemporary
Algerian poetry

إعداد

د. فتيحة بلمبروك
Dr.Fateha Pembroke

أستاذة محاضرة في كلية الآداب واللغات والفنون - جامعة جيلالي ليايس سيدي
بلعباس- الجزائر

Doi: 10.21608/mdad.2023.295783

استلام البحث ٢٠٢٣ / ٣ / ٢

قبول النشر ٢٠٢٣ / ٣ / ٢١

بلمبروك، فتيحة (٢٠٢٣)، الهوية وصورة الوطن في الشعر الجزائري المعاصر.
المجلة العربية مـداد، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢١)،
٣٣٥ - ٣٥٠.

<http://mdad.journals.ekb.eg>

الهوية وصورة الوطن في الشعر الجزائري المعاصر

المستخلص:

تحفّز صورة الوطن الكتابة للخوض في مسائل تبدو شائكة كونها تحاول استكشاف صورة للمكان، إمّا توافقا معه وإمّا خلافا فيه، وفي كلّ هذا يبحث الشعراء عن مكانتهم وانتمائهم. يعدّ تعميق وعيهم الفطري بالوطن محاولة لصنع المكان البديل الذي يحملون بوجوده حتى يثبتوا موقعهم داخل رقعة. ونحن نقرأ ما جادت به قرائح أولئك تساءلنا عن فحوى العلاقة التي تربطهم بالوطن محاولين من خلالها معرفة ما يحبونه فيه وما يؤاخذونه عليه من خلال لغة شعرية يزيئها التساؤل. وهذا ما ستسعى إليه القراءة من خلال البحث عمّا فرضته تيمة الوطن وما تنادي به الهوية على الأقاليم الجزائرية المعاصرة، وما صنعتها من أسماء لامعة في هذا المجال أمثال: علي ملاحي، عاشور فني وعبد القادر رابحي، وعمار بوجمعة، ويوسف و غليسي وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: الهوية، صورة الوطن، الشعر الجزائري ، المعاصر، المكان

Abstract:

The image of the homeland motivates writing to delve into seemingly thorny questions as it attempts to explore an image of the place, either in accord or contrary, in which poets seek their place and belonging. Deepening their natural awareness of the homeland is an attempt to create the alternative place they dream of in order to establish their position within its realm. As we read about their scandals, we wondered about their relationship with their country, trying to find out what they liked and what they rebuked it with poetic language adorned with wonder. It will also seek to read about what the theme of the Faan has imposed on contemporary Algerian pens and what the names she has created in this field, such as Ali Malahi, Ashour Fani, Abdelkader Rabhi, Amara Boujmaa, Youssef Ouaghlissi and others.

Keywords : Identity, national image, Algerian poetry, contemporary, place

تمهيد:

بدا اتفاق الباحثين واضحا على أنه لا وجود لشعب دون هوية، وصار الاختلاف حول الشكل الذي يحددها فقط. إذ ارتبط الشكل بكثير من المنطلقات والمكونات، والخصائص، والعناصر، وبعمامة نسجت الهوية الإنسانية وجودها عبر شبكة من العلاقات التي تندرج في الخانات الحضارية والمشاركات الآتية: مجال جغرافية ووطن تاريخي مشترك، أساطير وذاكرة تاريخية مشتركة، ثقافة شعبية مشتركة وغيرها مما يربط الناس ببعضهم^١.

وإذ "توصف الهوية بأنها قسيم الوجود الإنساني لأي إنسان في أي زمان ومكان حيث لا يمكن التفكير بإمكانية تحقق وجود حقيقي لإنسان بلا هوية، إذ إنها في أبسط تعريف لها: الاتحاد بالذات، ليست الذات الفردية باستقلاليتها المجردة وحسب، بل الذات الجماعية المنبثقة منها. تتشكل الهوية فيهم ومنهم بوساطة تحليل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه وتعكس انطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمرون بها"^٢ يصبح الفرد هكذا يظهر المستوى الأبرز بين الوطن والهوية بفعل التلازم الحضاري، والثقافي، والرؤيوي،

يوغل في نفس أي قارئ تتراءى له جذور الهوية في مفاصل نص ما، إحساس بما يتحول إلى مرجعية ستنتمركز فيما سيستقبله، وتعيه على تأسيس رؤية موحدة ينجم عنها شعور مشترك، فالواقع "أن محددات الهوية كامنة في محددات الغير كما يمكن أن يفهم من عبارة ميتشيلي: تحتوي النوى المحددة للهوية باعتبارها شرطا للإدراك وفك السنن على مقولات قبلية لمعرفة هوية الغير"^٣ لأن معرفة الآخر أمر ضروري لمعرفة هوية الذات، وهكذا تنبثق علاقة تواصلية يومض فيها تساؤل الفرد عن كينونته وانتماؤه وعن وطن ضروري أن تجتمع في مواطنيه الطاعة والقومية لحفظ نظام المجتمع^٤.

بدت الثقة في كتابة موضوع عن الوطن ونداء الهوية في الشعر الجزائري المعاصر تزداد بعدما ترسخ إدراك بمدى فاعلية هذه الكتابة وما تنبئ عنه من تطورات، لا تخلو من البحث عن طريقة تتعامل فيها مع العالم من وجهة نظر استقهامية تفتك رؤيتها من تواشج مريب بين شاعر يبحث عن وطن ينتمي إليه، ووطن يبحث عن شاعر يمتلك من الجراءة ما بوسعه توليد صورة مثالية عنه حتى يُخلده في ذاكرة الأجيال.

^١ - ينظر، ياسر سليمان، اللغة العربية والهوية القومية، نقلا عن محمد صابر عبيد، التنوير الروائي، استراتيجية العلامة فضاء التأويل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٥، ص٧٨.

^٢ - محمد صابر عبيد، التنوير الروائي، استراتيجية العلامة فضاء التأويل، ص٧٧.

^٣ - النبي ذاكر، الصورة... الأنا والآخر، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، ع٤٣، ٢٠١٤، ص٨٩.

^٤ - ينظر، جميل صليبا، المعجم الفلسفي،

بأي قلم يحمل الشاعر وطنه؟ بأي همّ، وأي فرح؟ هذا الوطن الذي يتسع على الشاعر حتى يختفي، ويضيق عليه حتى يرحل، ويرتبط به حتى يضيّعه، ويفصل عنه حتى يحثّ البحث عنه تشرداً وتشتتاً، وفي كل سفر يلوذ بهوية مترنحة بين ذات فردية وأخرى جماعية. تقيم أو ترتحل، تسكن أو تعبر، تحب أو تنقم، ذات هو الشاعر واحدها ورؤاه تنتثر، يحدوها أمل في لمّ شتات هويّة ممزقة مما عانت من ويلات الانكسار والاضطراب في ظل معاناة هذا الوطن.

هذه الهوية التي عاينت الانتكاسات الخارجية والداخلية، وأصبح هاجسها البحث عما يرمم هذه الأعطاب التي أصابت الوطن العربي بعامة والجزائري بخاصة، وربما سيقودنا هذا للبحث عن جدوى الشعر في الكشف عما يضر بواقعنا، وربما للتساؤل عن إمكانية وضع حدود لوطن الشاعر هل نرى له ملامح ومعالم محددة، أم إنه يتشكل بصفته سيرورة أكثر منه مكاناً؟ وهل الحديث عن الوطن مطلب ضروري؟ وماذا نتنظر من الشاعر الجزائري إزاء وطنه الذي يصون هويته؟

الحق أنّ الحديث عن وطن الشاعر ووضعه في ركن ركين من المعنى سيكون بمثابة النقاط إبرة من كومة قش. إذ يتّضح عسر المبحث، وضبابية الرؤية في الطريق المؤدي إلى وطن، فجّلّ الدراسات العربية التي خاضت هذه التجربة لم تستثن الشعر باتساع هذا المفهوم وعسر القبض عليه.

فمن قال يوماً: "ما هو الوطن ليس سؤالاً تجيب عنه وتمضي إنه حياتك وقضيتك معاً"، قد قال أيضاً: "سنصير شعبا حين لا نتلو صلاة الشكر للوطن المقدس" أو قال: "وتسأل ما معنى كلمة وطن؟ سيقولون: هو البيت وشجرة التوت، وقرن الدجاج، وقفير النحل، ورائحة الخبز والسماء الأولى". وتساءل: هل تتسع كلمة واحدة من ثلاثة أحرف لكل هذه المحتويات وتضيق بنا؟^٥ عجب تلك المسالك المتعددة التي جعلت علاقة الشعراء "متوترة دائماً بالوطن، جدلية معه، يعانون الاغتراب وهم في مساكنهم، كأنهم أبداً على سفر، أو يعقدون علاقات حميمة بأماكن أخرى يتخذونها أوطاناً جديدة يستبدلونها بأوطانهم الأولى، أو يخلقون نزاعات حادة بين تجلياتها المختلفة فيبرزون صراع المدينة مع القرية أو الحضارة مع الطبيعة"^٦.

وإن أفضت هذه العلاقة المتوترة المضطربة الشاعر إلى حالة من السفر والترحال الدائم والهجرة نحو أوطان أخرى فهذا لا يعني التخلي والتجاوز للوطن الأصل، إذ إنّ أجمل الأعمال كتبت بعيداً عن الوطن، فالخارج يعد زاوية رؤيا مثلى

^٥ - الشاعر محمود درويش.

^٦ - صلاح فضل، تحولات الشعر العربية العربية، دار رؤية، مصر، ط٢، ٢٠١٤، ص ٨٩.

للنظر إلى الداخل وما نبتعد عنه نتضح لنا معالمه أكثر، ويصبح الحنين إليه أكبر، حتى وإن كان هذا الخارج يقع تحت مسمى الاغتراب.
ولنأخذ على سبيل المثال نص الشاعر عمارة بوجمعة حين قال:

ها أنا أحيط معرفة بمنفاي
وأحيط معرفة بالوقت الفاسد
في ممرات الثلج
أغزل وردة الثلج من لغات
وأهدل للأسفار بالدمع^٧

أسفرت صورة المنفى المتهالكة على ذهن الشاعر رؤية تدعي المعرفة بما يحيط بحالة وسمت بالوقت الفاسد، الذي يضيع سدى في ممرات باردة، تحاول الوردة المتخيلة تبديد برودة البعد والتيه، وما تخلفه الأسفار من سحب دمع يوهنه الحنين. وبرودة المنفى ذاتها يقابلنا قول الشاعر عبد القادر رابحي يبدو أنه يسائل وطنه:

كيف علمتني الصبر
أعطيتني التوتة المستفيقة
والجنة الكاذبة

كيف علمتني كيف أبني الحديقة من سحر تلك المنافي
وأهدم صمت المسافات في ثلج تلك البروج
كيف أغويتني بالبقاء
وأغريتني بالخروج..^٨

يعي الشاعر المعاصر وهو يطرح أسئلته الشائكة تمام المعرفة أجوبتها، بل ومؤكد أنّ محاولة إجابة المتلقي عنها سيضعه في مواجهة عسيرة مع خطاب متّشح بمكر ودهاء خفي أن يرى لولا أعمال التفكير المتروّي في الأسباب الحقيقية من وراء ذلك الطرح.

أسئلة دون علامات استفهام تجعل قارئها يتلقاها على أنها إحدى المفارقات اللفظية التي يتوسّل فيها بالسؤال لإنكار موقف ما، أسئلة تجاهر برأي يخفي الكثير من الحقائق وهي موجهة إلى كل من أوهموه بجنة وسحر المنافي، وكيف يخيب أفق توقعه فلا يلقي فيها سوى صقيع وبرد يبّد دفء ما يوفّره الوطن، ولا يشعر به المقيم إزاءه.

^٧ عمارة بوجمعة، وردة الأهوال، نصوص شعرية، (ضفاف الورد)، وزارة الثقافة، الجزائر، ص ٥٨

^٨ عبد القادر رابحي، حنين السنبلية، (الجنة الكاذبة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٥٨.

ومغريات الخروج تظل تطل عليه من باب موارد يزيّن له سحر الابتعاد، والحلم ببناء حدائق مزهرة تبقى مجرد خدعة تسليّ الإنسان.
هذا التيه نفسه والثقل ذاته لا ينفي محاولة الرجوع إلى وطن أنسنه الشاعر ليصبح سيّده الذي يستظل بسيفه، ويهيّء له ما يكفي شغفه وحلمه:

ويبدأ من وعد الأرض
يلف أحلامنا في كل نبض
وفي كل جرح يشعله الغزاة
ها أي حفيد أمانك
أحرس وقارك من الكلام المشين
أحرس حكمتك من قلب الغدر
وأدعو غمامة الشعر أن تلمع فوق الجيش
المرابط في السهل
لأعود إليك^٩

هذا النظام العلائقي الفاعل يومي في نطاق علاقة المكان بالهوية، فالسيد الوقور جدّ يعطي الأرض وعد البقاء، كيما تحمل حلما يتوارثه الأحفاد، وبحرسون على أمانه، ويتعضون مما حدث من غدر وغزو، وما على الشعر سوى أن يحقق مهمته في الحفاظ على روح المقاومة، إنها بشائر مجتمع يقترح نظاما تواسليا بين الجد / الحفيد، السلف والخلف، ترقى ثقافته برقي سلوك أفراد، وتسلم هويتهم ماداموا في توافق واحترام، ومحافظة على عهد الأرض والأمل في العودة إليها مهما حدث. وهكذا تنمهي العلاقة بين الهوية والمكان في أقوى صورة.

وهكذا يؤثت الشاعر الجزائري مكانه بذكريات تعدّ في أغلبها رموزا ترتبط ثقافيا ووطنيا وقوميا بالهوية، فلا غرو أن "تندرج هذه القصيدة في التذکر وتوظيف المعلومات التعزيزية في سياق ضغط الهوية وتمثلاتها الغزيرة"^{١٠}.

ولا مشاحة أن تتعرض هذه الرموز إلى مصدر قلق عندما تصبح مهددة بالإبادة والتدمير، مما يجعلها همّا يتطلّب سعيا حثيثا من الشاعر كي يرمّم فقّه، ليستدعي تاليا أوج توهجاته الشعرية والإيحائية ترقبا لغد أكثر دعة، ليس فيه بديل عن الوطن، لا شيء يعطيني الوطن أو هكذا صرخ الشاعر علي ملاحى وهو يرى الخطيئة تنخر استقرار بلده، فيحاوره كما يحاور إنسانا عاقلا:

ماذا ستكسب..كلنا عش الخطيئة

^٩ - عمارة بوجمعة، وردة الأحوال، (قمر على حصن الأمير)، ص.ص ٤٠/٤١.

^{١٠} - محمد صابر عبيد، التنوير الروائي، ص؟.

نحن اليتامى... والوطن
في كف سادتنا وثن
من أين لي أجد الوطن..
يا موطني قد علموك العشق في
كل الجهات فما كسبت
من الهوى إلا مصيرا شاردا
ماذا تبقى من أصابع ترشيها
كي ترى الدنيا نشيدا واعدا؟
يا موطني سدّ الشبابيك الطرية
وارتقب
كن شاهدا

ثم اعترف.. أنت البلاد بلا بلاد^{١١}

تساؤلات أخر يشي جلّها بفخاخ منصوبة عليها أن تنفجر في فكر المتلقي وتعطلّ مروره القرائي السريع، عليها أن تمّد زمن استبقائه معها بكلّ الحيل الكفيلة بإدهاشه عساه يبصر الفتق البغيض الذي حمل الشاعر على التساؤل الخالي من براءة، والمشحون بما من شأنه فكّ عزلة المُخاطب بجذب مُخاطب يشاركه قلقه مما يحدث من تناقضات، أو قد يكون هذا المُخاطب سببا في حدوثها فيصبح التساؤل هاهنا حفزا له لتغيير ما يجب تغييره. ففي رحلة البحث عن وطن يأوي يتمه، ويهدي ضلالته، تراءت له صورة هذا الوطن في كف السادة مجرد وثن جامد أصمّ لا يسمع نداء أبنائه المشردين، وأتى لشاعر العثور على وطن ينتظر منه أن يكون شاهدا على خيبات حلم متلاش، فليس الوطن أرضا إنه الأرض والحق.

ليس الوطن مجرد وجود باهت لرقعة جغرافية نولد لنموت فيها، أو نشاهد ما يحدث فيها بفجاجة وغفل وغياب مثل مشاهد بلا تبصر وتعمق، مسلوبو الحضور مسلوبو الكينونة مشيؤونلا نعي لا نحلم ولا نتمنى وجودا فاعلا، بله وجودا يجرح ذاكرتنا يهدم هويتنا، يشهد دمار مكاننا، وعلى الشاعر لأنه صوت الوطن رتقُ هذا التمزق بتعرية الجرح أولا، وتتبع أثر الطعنات، وما أكثرها في الجزائر. نيمّم وجهتنا صوب شاعر آخر أرهقه سادة الوثن:

إنهم يسجدون...

كلّما ارتفع الوثن

ينهضون...

كلّما سقط الوطن

^{١١} - علي ملاحي، العزف الغريب، منشورات الجاحظية، الجزائر، د.ط، ص ٢١.

يصغرون...

كلما كبر الزمن !!

"إنهم" يشرع الشاعر في ذكر أشخاص مجهولين لا يُعرف عنهم سوى أنهم يسجدون كلما ارتفع الوثن، تقديسا له وإكبارا به، هذا الوثن قد يكون مالا ولا غير المال يعبد أولئك الخونة، وليت هذا التقديس يدوم إن سقط الوطن بله "ينهضون حينما يسقط الوطن" أي إنهم لا يبالون بهولو رأوه طريحامزقا، وهم لا يحيطون بما يحوم حولهم من مكائد علما.و"هم يصغرون كلما كبر الزمن" أي إنهم قابعون في أماكنهم، لا يعرف التطور إليهم سبيلا، وكلما تنمو شعوب العالم وتتطور، يتضاءلون ويزدادون صغرا، لأنهم حملوا نعث الوطن بأكف وسخة وقلوب ينهشها الطمع.أثر الشاعر بث تلك الصور المشهدية المتقابلة والمتناقضة، وذلك التقابل اللافت للانتباه، جعل الخطاب يبدو كأثاث مرتب بصفة مقصودة، بؤا الشاعر فيه لقاء مريبا للقارئ مع المتقابلات، لتوقعه في تساؤل حول ما ترمي إليه الرسائل المشفرة من مآرب، ولتوطئه على فهم سرّ هذا الواقع القائم على المتضادات، ويكأنه التصالح مع الكارثة.

محاولة تنضيد الشتات والقلق الذي وُجد في الوطن لن ينوء بحمله غير شاعر تستبدّ به الظروف مرّة، وبياركة القلق مرّة وينقاذه الابتعاد، فلا يكلمن مناداته والعود إليه مدحورا كأن لم يرجع. ولئن قُدّر له أن يحقّق جانبا من المرام في التصالح معه فلسوف يجد وطننا آخر يلتحم به ويحلّ فيه حلول المتصوفين، في ارتباط معنوي وثيق، يتسع فيه الوطن مثلما ارتبط الشاعر يوسف و غليسي:

أنا أنت..وأنت أنا!

أهواك لأنني منك

وأنت مني

روحك حلّت في بدني..

أنا حلّج الزمن..

لكن

ما في الجبّة

إلّاك أيا وطني!..^{١٢}

تثمر هذه العلاقات الشائكة بين فكرة الهوية وذات الشاعر،حالة من الانزياح لتصور الذات الشاعرة نفسها تمثيلا للوطن، يجسّد الصورة المشتبهة للوطن وللذات معا والعلاقة هنا تكون قابلة للحركة الفاعلة من الذات للوطن ومن الوطن للذات تقول الشاعرة حنين عمر:

^{١٢} - يوسف و غليسي، تغريبة جعفر الطيار، م.إ.ك.ج، ط١، دت، ص ٦١.

معي لا تأتمل وطنًا سوى قلبي
فقد سقطت محطات القطارات
معي لا تأتمل شيئًا سوى حبي
وتذكرتين في كل المطارات
سنمضي نحمل الأحلام في كف
وفي كف حقائب من خيالات
فلا تحزن إذا لامست أحزاني
ولا تحزن إذا شاهدت دمعاتي
هي الأشجان إذ تهفو بطائرة
بتذكرة ... بأختام الجوازات

فالعلاقات بين (الوطن / قلبي، الأحلام / حقائب الخيالات / الكف / التذكرة / الطائرة / أختام الجوازات) على قدر ما تشير إلى الغربة بقدر ما تشير إلى التشبث بفكرة الوطن، وتكرار فعل الأمر (لا تحزن) يشير إلى حالة من الشجن مرتبطة بمفهوم الهوية والوطن، غير أنا الذات الشاعرة تريد أن تتمثل بمفهوم الوطن برغم الأحزان والدمعات، لأنه يمثل العلاقة المثال، التي لا ينبغي الفكك منها ، وتستمر الشاعرة في تجسيد هذه العلاقة المخاتلة بين صورة الوطن وبين تمثلاتها لها، ففوق التي تصف فيه ذاتها إنما تتمثل صورة الوطن :

أنا امرأة تريد العيش فانوسا
يضيء الشوق في عتم المساءات
تغطيها .. إذا في معبر نمنا
تدفيها .. إذا طالت شتاءاتي
وطال الليل والمنفى ينادينا
وطال السير من خلف المسافات

العلاقات بين (الفانوس / عتم المساءات ، تغطيها / شتاءاتي، معبر / منفى، ينادينا/ المسافات) تقفز على معاني الحنين والاحتواء في مقابل البرودة والنفي ، الرعاية والقرب، والجفوة / المسافات، الفانوس / الظلمة) تقارب بين صورة الوطن المشتهى، والمكابدة في سبيله وتدمج بين الحالين بوصفهما حالة واحدة، جمالها في تآلف المتناقضات فيها وتشبثنا بفكرة الوطن مهما كانت حالاته أو صورته التي يتجسد فيها ، تقول :

أنا امرأة تريد الموت صادقة
وعاشقة وظاهرة الغلالات
أنا امرأة بلا أرضٍ ولكني
إلى ضلعك يا رجلي انتماءاتي

أنا امرأة بلا أرض ولكني إلى نهريك يا وطني أُنتماءاتي

اتّسمت كتابة الجيل اللاحق من النساء بالحدائية والتجريب مع النصف الثاني من التسعينيات إلى اليوم، إذ بدأت تتبدّد الكتابة التي تسعى للتحرّر والانعتاق من ربقة الهيمنة الذكورية، والكتابة التي راهنت على محاربة الثقافة الذكورية، وطفقت على السطح كتابات لا تحتكر أدبها في التعبير عن المرأة وقضاياها، لتشكل معايير مغايرة تنقض السائد وتطعن في منظومة القيم القهرية، تخلخلها وتعيد تأنيثها بما يؤثر في الإنساني العام، ويغيّر العالم المحكوم بقوة الجوهر المهيمن، والقول والصوت المهيمن، ويبقى مع ذلك لإبداعها خصوصية في تعبيرها عن جوهرها الحقيقي. إذ ما تزال هنالك كتابات انفلتن من أسر صورة الرجل المركز، وحاولن تبني صورة للمرأة تعيدها إلى الطبيعة الأم^{١٣}. كتابة حنين عمر متصالحة مع الرجل إذ تمثّل معه كلاً متكاملًا ليصبح أرضاً ووطناً تنتمي إليه في الأخير.

يمثّل الوطنُ الخفاء الفاعل في النص بحيث تنطق مفردات الهوية، وخصائصها من وراء ستار المجاز الشفيف، كأن يشير المستوى الظاهري للنص إلى الأمهات اللواتي يتحملن ظروف الحياة ويمضين في مهمتهن بينما يحتل الوطن المستوى الباطني، بحيث لا يمكننا تصور النص بعيداً عن تشكيلات الوطن والهوية كما في نص الأخضر بركة (الحاملات الحمل)^{١٤}:

أرخبيل الغيم يحنو فوق أعناق النبات
عطر حنتيت القماط الأول المنسي

تحتّ الجلد

سلطان الحليب، الأمهات

زيت زيتون اليد الأثني يضيء الليل

أعشاب الجبال الحمر في ماعون يومين

رماديين،

بينما هو يتمثل الأمهات بالمجاز استخدم (أرخبيل الغيم / عطر حنتيت / زيت زيتون / أعشاب الجبال الحمر) وهي مفردات تشير إلى جغرافيا الجزائر (أرخبيل الجبال الحمر) وإلى مفردات يومية شائعة في الوطن (زيت الزيتون – عطر حنتيت القماط).

^{١٣} - ينظر، هويدا صالح، نقد الخطاب المفارق، "السرد النسوي بين النظرية والتطبيق"، دار رؤية للنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٤، ص

^{١٤} - WWW.ALKASIDA.COM

خلق الشاعر علاقات سابعة في الخيال مازجاً بين ما هو واقعي بما هو متخيل باستخدام الإضافة فأضاف الأرخييل إلى الغيم، وأضاف زيت الزيتون للبيد الأنثى، وهو إذ يمتدح الأمهات يشير بقوة إلى معنى الوطن الذي يحملنه ويربين الأبناء في سبيل غاياته .

كما يستمر الشاعر الأخضر بركة كديده في ايجاد العلاقات بين مفردات اليومي والواقعي في الجزائر مازجاً إياها بما يناسبها من مجازات :

الحاملات الحمل،

يصنعن الصباح الغض في الغريال،

لم يمسس هواءً واحدٌ ديدنهن الصامت الجهد

ولم يبهت

إذن

لسنَّ إورًا داخل اللوحات في المخيال،

حتى ..

لسن في الوصف ولا خارجه

لسن أيضًا عتبات لانتظارات

ولسن العش في عُصن الرياح

ولهن الحق ألا يتوضأن بصابون الفتاوى

لسن دومًا طرقًا للعودة نحو المنزل الأول

ليس شموسًا ذاهبات

ذائبات من هو الشمال الرطب، ها ..

هن ينفضن غبار الغزل الفاخر عنهن،

يرتبين الأثاث

الكسيراث

إنه الاستخدام المادي للطبيعة من أجل إثبات الوجود الإنساني وإثبات كينونة هذه الأرض بكل ما فيها من منازل حملت ذكريات وحنينًا، يجعل الشاعر من الوقت والزمن ذا جدوى في الالتصاق بالمكان، وتثير المرأة وهي أحد رموز ديمومة الطبيعة سكنا دافئًا بكل ما تتمتع به من رسوخ وسمود في وجه العواصف:

لهن الحق أن يسكنهن الحق، إلا يتفسرن بقاموس

كأن الوقت لا يعبر إلا عبرهن

الوقت إذ يعطيهن،

الوقت لا يطلب إلا إذنهن الخاص كي

يجتاز بستان الإناث

وكان الوقت لا يجلس إلا عندهن

الوقت لا يخجل من تجاعيد الجمال
لم أقل هن اللواتي يدخرن الصبر،
أو ينصبن للجوع قدور الصبر

والصبر ولا غير الصبر رفعت له هممهن وانحنى له وقتهن المهوس بالحق،
والمسكون بالصباح الجالس في لوحات فنية يصنعها لوطن دافئ بشمس نقية نقاء المنزل
الأول الذي يحمل الذكريات السعيدة.

صمتهن الناضج المعدن والمعنى
قناديل البيوت البيض في الليل القديم
ربما قد قلت لم يطحن حب القمح إلا برحى الأمهن
المطعمات الخير خبز الأمل المنزوع من جلد الذراع
ربما قد قلت إن الزمن النحات لا تنقصه
موهبة الكشف عن المكظوم من أحلامهن
أذهبن يا أنتن في الأبعد من وجدي بكن
أنا لم أركب حصاناً في بهاء التيه، كي أرسم خلفي بعدكن

ينسج نص الشاعر هوية نساء طحنهن الألم برحاه غير أن الأمل قد خبزهن
وجعلهم يطعمن رغم المعاناة وهي صورة لهوية شعب يمنح دون انتظار مقابل وبصمت
رغم الفقد والحرمان. هي صورة امرأة تلخص وطنا غزلته أنامل الصبر وحاكت له
قصصا يملؤها الطموح رغم ما يسكنها من وجع.

على مائدة الخيال أنتن اللواتي
كن يمسخن عن الأوراك أخطاء الثقافات
افتلن له كسكسكن الأبيض
احلبن له الأبقار
واغرسن له الجرجير تحت المخدع
اخذعن المعاني

كسكس أبيض وحليب بقر وجرجير يغرس في المكان الذي امتلأ بالمرأة فامتلاً
به الوطن وصارت تلك التفاصيل الصارخة به هي نفسها نداء ملحا لهوية لم تطمسها
جحافل حرب مديدة، إنها هوية حاكتها أنامل نساء مثلن الأرض وحافظت على الوطن
بكل ما تملكن من تشبث بالعادات والتقاليد التي تنسج تراثا لا يفتأ أي وطن يستأنس به،
ويدافع به عن وجوده.

هذا الوطن إذن، انعكس في كل حرف وامتلاً به كل نص جزائري، وأصبح كل
شاعر ينتفس أرضا مخضبة بدماء الملايين، لينافح عن هويته وكرامته، ووجوده،
فتتجسد ملامحه وتستنبت حامله تراثا يصعب طمسه، وتاريخها يستحيل نسيانه. إنه وطن

يعظم في عين كلّ شاعر أفنى حبه في رصف كلّ كلمات ترسخ هذا الوجود، وها هو الشاعر عبد الله حمّادي يقول^{١٥}:

وطن يكبر وطن يعظم
وطن يسكن فوق الأنجم
وطن ثائر وطن سائر
وطن يصعد رغم الجائر
وطن وطن يا جزائر...

وطن يتعمّق فيه الإحساس بالمقاومة، وبخاصة عندما تسوّل نفس لعدو ما الاقتراب ممّا يحسبه الشاعر ملكا له، وملاذا يحتمي فيه من التشرّد والضياع، ونسبا ينتسب إليه فلا يبقى ضالاً من غير هويّة.

^{١٥} - عبد الله حمّادي، البرزخ والسكين، شعر، منشورات نوميديا، الجزائر، ط٥، ٢٠٠٢، ص ٣٥.

مراجع البحث:

١. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط١٩٨٢.
٢. صلاح فضل، تحولات الشعرية العربية، دار رؤية، مصر، ط٢، ٢٠١٤، ص ٨٩.
٣. عبد الله حمادي، البرزخ والسكين، شعر، منشورات نوميديا، الجزائر، ط٥، ٢٠٠٢.
٤. عبد القادر رابحي، حنين السنبلة، (الجنة الكاذبة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٤، ص٥٨.
٥. عبد النبي ذاكر، الصورة...الأنا والآخر، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، ع٤٣٤، ٢٠١٤، ص٨٩.
٦. علي ملاحي، العزف الغريب، منشورات الجاحظية، الجزائر، دبط، ص٢١.
٧. عمارة بوجمعة، وردة الأهوال، نصوص شعرية، (ضفاف الورد)، وزارة الثقافة، الجزائر، ص٥٨.
٨. عمارة بوجمعة، وردة الأهوال، (قمر على حصن الأمير)، ص.ص ٤٠/٤١.
٩. هويدا صالح، نقد الخطاب المفارق، "السردي النسوي بين النظرية والتطبيق"، دار رؤية للنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٤.
١٠. يوسف وغيليسي، تغريبة جعفر الطيار، م.إ.ك.ج، ط١، دبت، ص٦١.
١١. محمد صابر عبيد، التنوير الروائي، استراتيجية العلامة فضاء التأويل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٥.

Translating the list of references:

1. Jamil Saliba, The Philosophical Lexicon, The Lebanese Book House, Beirut, Lebanon, 1982 edition.
2. Salah Fadl, Transformations of Arabic Poetry, Dar Roya, Egypt, 2nd edition, 2014, p. 89.
3. Abdullah Hammadi, Barzakh and Knife, Poetry, Numidia Publications, Algeria, 5th edition, 2002.
4. Abdul Qadir Rabhi, Haneen Al-Sunbulah, (The False Paradise), Al-Ikhtif Publications, Algeria, 1st edition, 2004, p. 58.
5. Abd al-Nabi Zakir, The Image...The Ego and the Other, Time Publications, Sharafat Series, p. 43, 2014, p. 89
6. Ali Mallahi, Al-Azf Al-Gharib, Al-Jahiziyah Publications, Algeria, Dr. I, p. 21.

7. Amaret Boujema, Wardat al-Ahwal, Poetic Texts, (Red Banks), Ministry of Culture, Algeria, pg. 58
8. Amarah Boujema, Wardat al-Ahwal, (Moon on the Prince's Fortress), pg. 40/41.
9. Howaida Salih, Criticism of the Separated Discourse, "The Feminist Narrative between Theory and Practice," Dar Roya for Publishing, Cairo, Egypt, 1st Edition, 2014.
10. Youssef Waghleesi, The Expatriation of Jaafar Al-Tayyar, M.E.K.G., 1st Edition, Dr.T., p.61.
11. Muhammad Saber Obeid, Novelist Enlightenment, The Mark's Strategy, Space of Interpretation, The Modern World of Books, Jordan, 1st edition, 2015.
12. WWW.ALKASIDA.COM